الأمثال في القرآن الكريم

بقلم

الأستاذ الدكتور محمد السيد الجوهري

أستاذ ورئيس قسم التفسير

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

بالمنوفية

الأمثال فى القرآن الكريم

من الموضوعات التى اعتم بها علمـاء الدراسات القرآنية قـديما وحـديثا • الأمثال فى القرآن الكريم • حتى أن الشافعى رضى الله عنه عـد ممـا يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال على طاعته المثبتة لاجتناب معصيته وترك الغفلة على الحفظ والازدياد من نوافل الفضل ولم واهتمام العلماء به أمر لا ريب فيه لمن يعايش كتاب الله عز وجل وسنة رسوله والوحى الذى أنزل على رسله يقول الامام الزمخشرى فى كشافه ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين وفى سائر كتبه أمثاله • وفشت فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء قال الله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس) وما يعقلها الا العالمون • ومن سورة الانجيل سورة الأمثال وروى البيهقى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعلموا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وأمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال ولقد ذكر الله عز وجل فى كتابه العزيز أنه ضرب الأمثال • قال تعالى :

(وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)(٢) •

---

(١) الكشـــاف ج ١ ص ١٩٥ .
(٢) الحشر ٢١ .

وقال سبحانه :

(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) .

وقال سبحانه :

(ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون)(١) .

ومن أجل ذلك كانت هذه العناية التى نراها من علمائنا فى القديم والحديث لهذا الموضوع وهو الأمثال فى القرآن الكريم .

فمن العلماء من أفرد الأمثال بالتاليف كأبى الحسن الموردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ كما أن السيوطى عقد له بابا فى كتابه الاتقان وابن القيم تحدث عنه كذلك فى كتابه أعلام الموقعين فقد تتبع أمثال القرآن التى تضمنت تشبيه الشىء بنظيره والتسوية بينهما فى الحكم فبلغت بضعا واربعين مثلا .

وهناك من العلماء من اهتم أيضا بالأمثال النبوية فقد عقد أبو عيسى الترمذى بابا فى جامعة أورد فيه أربعين حديثا وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى هذا الصدد : لم أر من أهل الحديث من صنف فأفرد للأمثال بابا غير أبى عيسى .

أيضا عقب عنه الامام الزركشى بابا أو نوعا فى كتابه البرهان فى علوم القرآن الكريم كل هذا يدل على أهمية دراسة الامثال فى القرآن الكريم لهذا نكتب عنه الآن ونخصه بمبحث خاص وجريا على عادة العلماء نبدأ بالحديث عن معنى المثل فى اللغة وعن معناه العام وعن معنى المثل فى القرآن الكريم فنقول بتوفيق الله وعونه .

---

(١) العنكبوت ٤٣ .
(٢) الزمر ٢٧ .

تعـريف المثـل

الأمثال جمـع مثل والمثل والمثل والمثيل كالشبه والشبه والشبيه لفظا ومعنا يقول الزمخشرى فى الكشاف والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل وهـو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه .

ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بموردة مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه أهـلا للتسير ولا جـديرا بالتداول والقبول الا قولا فيـه غرابه من بعض الوجـوه ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير(١) .

وجاء فى كتاب البرهان للزركشى والمثل هو المستغرب قال الله تعـالى : « **ولله المثل الأعلى** » وقال تعالى : « **مثل الجنـة التى وعـد المتقـون** » ولمـا كان المثل السائر فيه غرابة استعير لفظ المثل للحال أو الصفة او القصة اذا كان لهـا شأن وفيها غرابة أما استعارته للحـال كقـوله : « **مثلهم كمثل الذى استوقـد نارا** » أى حالهم العجيب الشأن كحال الذى استوقـد نارا .

وأما استعارته للوصف فقـوله تعـالى : « **ولله المثل الأعلى** » أى الوصف الذى لـه شأن ، وكقوله تعالى : (**مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيـل**) ، وكقـوله : (**كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابـل فتركه صـادا**) وأما استعارته للقصة كقوله تعالى : (**مثل الجنة التى وعـد المتقـون**) أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصـة الجنة العجيبة ثم أخـذ فى بيان عجائبها(٢) .

وهناك من يرى بأن المثل بالفتح والمثل بالكسر بمعنى واحـد الا أن ابن العربى ومعه الكثير من أهـل اللغة على أن المثل بالكسر عبارة عن شبه المحسوس وبفتحتها عبارة عن شبه المعانى المعقولة وفرق الامام فخر الدين بينهما بأن المثل هـو الذى يكون مساويا للشيء فى تمام

---

(١) الكشـاف ج ١ ص ١٩٥ .

(٢) البرهـان ج ٢ ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

المـاهية والمثل هـو الذى يكون مساويا لـه فى بعض الصفات الخارجة عن المـاهية وضرب الأمثال انما هـو جعلها تسير فى البلاد يقال ضربت القـول مثلا وأرسلته مثلا أما المثل فى الأدب فهو قـول محكى ساور يقصد به تشبيه حال الذى حكى فيه بحال الذى قيل لأجله أى يشبه مضربه بمـورده مثل رب رميـة من غير رام اما تعـريف الامثـال فى القرآن الكريم فهـو ابراز المعنى فى صـورة رائعه موجزة لهـا وقعها فى النفس سواء كانت تشبيها أو قولا مرسلا وهـذا التعريف او هـذا الضابط هـو الأليق بتعريف المثل فى القرآن الكريم لأن أمثال القرآن لا يستقيم حملها على أهـل المعنى اللغوى الذى هـو الشبيه والنظير ولا يستقيم حملها على ما يذكر فى كتب اللغة اذ ليست أمثال القرآن أقوالا استعملت على وجـه تشبيه مضربها بموردها ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة وما لم يفش استعماله .

انواع الأمثال فى القرآن الكريم

باستقراء الأمثال فى القرآن الكريم رأى العلماء أنها تتنوع الى أنواع ثلاثة :

١ ـ الأمثـال المصرحـة .
٢ ـ الأمثـال الكامنـة .
٣ ـ الأمثـال المرسـلة .

وبشىء من التفصيل والبيان لهـذه الأنواع الثلاثة نقول بتوفيق الله (الأمثال المصرحة) وهى ما صرح فيها بلفظ المثل او ما يدل على التشبيه وهـذا النوع كثير فى القرآن الكريم .

ومن ذلك قـوله سبحانه :

« مثلهم كمثل الذى استوقـد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعـد وبرق » .

الى قــوله عز وجــل :

« إن الله على كل شيء قــدير »(١) .

ففى هــذه الآيات ضرب الله مثلين للمنافقين كانوا يعترون بالاسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلمــا ما توسلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوءه وتركهم فى ظلما تهم وقــوله سبحانه (او كصيب من السماء) هو مثل مائى لمــا فى المــاء من مادة .

وقــد نزل الوحى من السماء متضمنا استنارة القلوب وحياتها ثم انه سبحانه ذكر حظ المنافقين حيث انتفعوا ماديا بالاسلام ولكن لم يكن له أثر فــورى في قلوبهم فذهب الله بمــا فى النار من الاضاءة وابقى ما فيها من الاحراق ثم أنه سبحانه شبههم بحال من اصابه مطر فيــه ظلمــة ورعــد وبرق فخارت قواه ووضع أصبعه فى أذنيه وغمض عينية خــوفا من صاعقــه تصيبه ذلك أن القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق وكقوله تعالى :

(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقــدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقــدون عليه فى النــار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحــق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)(٢) .

فعن ابن عباس قال هــذا مثل ضربه الله احتملت منه القــلوب على قــدر يقينها وشكها فأما الزبد فيذهب جفاء وهــو الشك وأما ينفع الناس فيمكث فى الأرض وهــو اليقين كما يجعل الحلى فى النار فيأخــذ خالصه ويترك خبثه فى النار كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشــك .

---

(١) البقــرة ١٧ ـ ٢٠ .

(٢) الرعــد الآية ١٧ .

وقـــوله ســـبحانه :

(أيود أحـــدكم أن تكون لـــه جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار لـــه فيها من كل الثمرات واصابه الكبر ولـــه ذرية ضعفاء فأصابها أعصار فيه نار فأحترقت)(١) .

فعن هـــذه الآية يقول ابن عبـــاس قال عمر بن الخطـــاب يوما لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيمـــن ترون هـــذه الآية نزلت (أيود أحـــدكم أن تكون لـــه جنة من نخيل وأعناب) قالوا الله أعلم فغضب عمر فقال قولوا تعلم أو لا تعلم فقال ابن عباس فى نفسه منها شىء فقال يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر أى عمل . قال ابن عباس . لرجل غنى عمل بطاعة الله ثم بعث الله لـــه الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله .

النوع الثانى من الأمثال :

(الأمثـــال الكامنـــة) .

وهى التى لم يصرح فيها بلفظ التمثيل الا أنها تحمل المعـــانى الرائعـــة .

وبايجاز وقـــد ذكر السيوطى فى كتابه الاتقان عن الموازدى أنه قال سمعت أبا اسحاق ابراهيم بن مضارب بن ابراهيم يقول سمعت أبى يقـــول سألت الحسن بن الفضـــل فقلت انك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجـــد فى كتاب الله خير الأمور أوساطها قال نعم فى أربع مواضع قـــوله تعالى :

(لا فارض ولا بكر عـــوان بين ذلك) .

وقـــوله تعـــالى :

(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) .

---

(١) البقـــرة الآية ٢٦٦ .

وقـــوله تعـــالى :
(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) .

وقـــوله تعـــالى :
(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) .

وسئل هل تجـــد فى كتاب الله من جهل شيئا عاداه ؟ قال نعم فى موضـــــعين .

قـــوله تعـــالى :
(بل كذبوا بمـــا لم يحيطوا بعلمه) .

وقـــوله تعـــالى :
(وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هـــذا إفـــك قـــديم) .

وســـــئل :

هل تجـــد فى كتاب الله اتق شر من أحسنت اليه قال نعم قـــوله تعـــالى :
(وما نقمـــوا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) .

وســـــئل :

هل تجـــد فى كتاب الله ليس الخبر كالعيان قال نعم قوله تعالى :
(قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) .

وســـــئل :

(هل تجـــد فى كتاب الله كما تدين تدان قال نعم قوله تعالى :
(من يعمل ســـوءا يجز به) .

وســـــئل :

هل تجـــد فى كتاب الله لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين قال نعم قـــوله تعـــالى :
(قال هـــل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل) .

وســـئل :

هل تجـد فى كتاب الله من أعان ظالمـا سلط عليه قال نعم قوله تعـالى :

(كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) ٠

وســـئل :

هل تجـد فى كتاب الله للحيطان أذان قال نعم قوله تعالى :

(ولا يلـدوا إلا فاجرا كفـارا) ٠

وســـئل :

هل تجـد فى كتاب الله للحيطان آذان قال نعم قوله تعـالى :

(وفيـكم سماعـون لهم) ٠

وســـئل :

هل تجـد فى كتاب الله الجاهـل مرزوق قال نعم قوله تعالى :

(قـل من كان فى الضلالة فليمدد لـه الرحمن مدا)(١) ٠

هـذه أمثلة لبعض الأمثال العربية وبعض الآيات القرآنية التى تؤدى مؤداها وزيادة النوع الثالث ٠

(الأمثال المرسـلة فى القرآن) ٠

وهى ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وهـذا هـو النـوع البديعى المسمى بارسال المثل ومن ذلك قوله سبحانه :

(الآن حصحص الحـق) (وضرب لنـا مثلا ونسيى خلقـه)
(ذلك بمـا قـدمت يـداك) (قضى الأمر الـذى فيـه تستفتيان)
(أليس الصـبح بقـريب) (وحيـل بينهم وبين ما يشـتهون)

---

(١) الاتقـان جـ ٢ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ٠

(لكل نبأ مستقر) (ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله) (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) .

هذا وقد اختلف أهل العلم حول هذا النوع من الآيات الذى يسمونه ارسال المثل ما حكم استعماله استعمال الأمثال فذهب الرازى ومعه بعض العلماء الى منعه وحرمته لأنه خروج عن أدب القرآن وذهب آخرون الى أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن فى مقام الجد كأن يأسف من وجد مشكلة أو نازلة استعصى الفعل على الخروج منها فيقول ليس لها من دون الله كاشفة والخطأ الفادح والاثم الكبير لمن يتمثل بالقرآن فى مقام المزاح أو التفكك أو المداعبة هنا يكون قد خرج عن أدب القرآن .

فوائد الأمثال وحكمة ورودها فى القرآن

الحديث الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى جاء فيه أن القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا الأمثال فى هذا الحديث ما يدل على أن الأمثال تحمل العظة والتذكير ولهذا يقول الزركشى فى كتاب البرهان : وضرب الأمثال فى القرآن يستفاد منه أمور كثيرة التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وترتيب المراد المراد للعقل وتصويره فى صورة المحسوس .

٢ ــ ضرب الأمثال يؤثر فى القلوب ما لا يؤثره وصف الشىء فى نفسه وذلك اذا علمنا أن الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقا للعقل فالترغيب اذا وقع فى الايمان مجردا عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه فى القلب كما يتأكد وقوعه اذا مثل بالنور واذا زهد فى الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه فى العقول كما يتأكد اذا مثل

بالظلمة واذا أخبر بضعف أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ فى تقرير صورته من الأخبار بضعفه مجردا(١) .

٣ ــ يقول الزمخشرى ضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خبايات المعانى ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لثورة الجامح الأبى(٢) .

وجاءت الأمثال فى القرآن الكريم مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر وابطال أمر وهذا يتمشى مع المنهج الأقوم فى الدعوة الى الله والقائم على الترغيب والترهيب وكل هذا يساعد على التمسك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

تم البحث ان شاء الله تعالى

---

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ص ٧٢ ــ ٧٣ .
(٢) انظر الكشاف جـ ١ ص ١٦٥ .